الفصل العاشر

الفهرســـت لابن النديـــم
[320 – 400هـ]

التعريف بالمصنف:

هو أبو الفرج محمد بن النديم مع اختلاف بين من ترجم له الذين لم يذكروا عنه الشيء الكثير خاصة فيما يتصل بميلاده ووفاته وثقافته وشيوخه.

وقد حاول الباحثون المحدثون عن طريق الدراسات والمقارنات أن يقدموا بعض التواريخ التقريبية، وأرجح هذه الآراء أنه من مواليد أواخر العِقْد الثاني من القرن الرابع وأن وفاته كانت في نهاية هذا القرن أو ما يقرب من ذلك.

شيوخه:

ولا نعرف عن شيوخ ابن النديم ممن سمع منهم ونقل عنهم غير ما يذكره هو في كتابه، فهو يذكر أنه سمع من أبي الخير الحسن بن سوار بن الخمار ومن أبي الفرج الأصفهاني وأبي سعيد وأبي الحسن محمد بن يوسف الناقط وأبي إسحاق السيرافي وإسماعيل الصفار ويونس القس.

كما يحتمل أن الوراقة كانت صناعته ورثها عن أبيه، وأغلب من ترجم له أثبت له هذه الصفة.

مذهبه واعتقاده:

هذا وقد اتهم ابن النديم بالتشيع ثم بالاعتزال ثم بالرافضية، وربما كان هذا هو السبب فيما رأيناه من إهمال المترجمين له وتحاملهم عليه فلا نكاد نعثر عند من ترجم له على

عبارة إنصاف باستثناء قول ياقوت في معجمه عن كتاب الفهرست "الذي جدد فيه واستوعب استيعابا يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحققه لجميع الكتب".

مصنفاته:

ويبدو أن ابن النديم لم يؤلف كتبا أخرى غير الفهرست باستثناء كتاب آخر ذكره ياقوت والصفدي هو "التشبيهات".

قدم ابن النديم لكتابه بقوله: "هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وكلها في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سبع وسبعون وثلاثمائة للهجرة".

منهج الكتاب ومحتواه:

والكتاب بهذا يعد الأول من نوعه، ومن هنا نستطيع أن ندرك إلى أي حد كلف الكتاب الرجل من الجمع والنظر والتقليب والإحاطة. فلا شك أن المهمة التي كلف بها ابن النديم نفسه كانت مهمة شاقة، فقد كان الرجل يتصدى لوضع فهرس يضم العلوم المختلفة وعلماء كل علم ومؤلفات كل عالم، مع التعريف بهذه المؤلفات. حقيقة سبق الفارابي والخوارزمي ابن النديم، إلا أن مؤلفيهما اقتصرا على الإحصاء دون الاهتمام بالتعريفات، كما أنهما اقتصرا على المؤلفات فقط، والكتابان هما "إحصاء العلوم"

للفارابي محمد بن طرخان (ت339هـ) و"مفاتيح العلوم"للخوارزمي محمد بن أحمد (ت387هـ) وربما استفاد ابن النديم من المؤلفين في الاتجاه إلى هذه التأليفات التي تهتم بالفهرسة والفهارس.

وبعد أن أوضح ابن النديم في مقدمة كتابه الغرض من تأليفه لهذا الكتاب ومجال اهتمامه ومنهجه في المعالجة، قسم كتابه عشر مقالات، وقسم كل مقالة فنون اختلفت في العدد بين كل مقالة.

قسم ابن النديم المقالة الأولى ثلاثة فنون، تناول في الفن الأول وصف لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكالها، وتناول في الفن الثاني أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين ومذهب أهلها، ثم جعل الفن الثالث في نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأسماء الكتب المصنفة في علومه وأخبار القراء وأسماء رواتهم.

أما المقالة الثانية وهي الخاصة بالنحويين واللغويين فتحدث فيها من خلال تقسيمها ثلاثة فنون كذلك، درس في الفن الأول ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين وأسماء كتبهم، وفي الفن الثاني أخبار النحويين الكوفيين وأسماء كتبهم، وفي الفن الثالث النحويين الذين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم.

وتناولت المقالة الثالثة الأخبار والآداب والسير والأنساب وذلك من خلال ثلاثة فنون أيضا، تناول في الفن الأول أخبار الإخباريين والرواة والنسابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء

كتبهم، وفي الفن الثاني أخبار الملوك والكتاب والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم، وفي الفن الثالث تناول ابن النديم أخبار الندماء والجلساء والمغنين والمضحكين وأسماء كتبهم.

أما المقالة الرابعة في كتاب الفهرست فقد جعلها ابن النديم في الشعر والشعراء، وقسمها فنين؛ الفن الأول في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ممن لحق الجاهلية وصناع دواوينهم وأسماء رواتهم، والفن الثاني في طبقات الشعراء الإسلاميين والشعراء المحدثين إلى عصره.

وتأتي المقالة الخامسة في الكلام والمتكلمين على خمسة فنون تناول فيها ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم، وأخبار متكلمي الشيعة والإمامية والزيدية وغيرهم من الغلاة والإسماعيلية وأسماء كتبهم، وأخبار متكلمي المجبرة والحشوية وأسماء كتبهم، وأخبار متكلمي الخوارج وأصنافهم وأسماء كتبهم وأخبار السياح والزهاد والعباد والمتصوفة والمتكلمين على الوساوس والخطرات وأسماء كتبهم.

وجعل ابن النديم المقالة السادسة في الفقه والفقهاء والمحدثين وذلك من خلال ثمانية فنون؛ تناول في الفن الأول أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم، وفي الفن الثاني أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم، وفي الفن الثالث أخبار الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم، وفي الفن الرابع أخبار داوود وأصحابه

وأسماء كتبهم، وفي الفن الخامس أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم، وفي الفن السادس أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين وأسماء كتبهم، وفي السابع أخبار أبي جعفر الطبري وأصحابه وأسماء كتبهم، وفي الثامن أخبار فقهاء الشراة وأسماء كتبهم.

وتناول في المقالة السابعة الفلسفة والعلوم القديمة في ثلاثة فنون تحدث فيها عن أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم وأخبار أصحاب التعاليم والمهندسين والأرثماطيقيين والموسيقيين والحساب والمنجمين وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات وأسماء كتبهم، وعن ابتداء الطب وأخبار المطببين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ونقولها وتفاسيرها.

أما المقالة الثامنة وهي في الأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة فقد جعلها على ثلاثة فنون، تحدث في الفن الأول عن أخبار المسامرين والمخرفين والمصورين وأسماء الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات، وفي الفن الثاني تناول أخبار المغرمين والمشعوذين والسحرة وأسماء كتبهم، وتحدث في الفن الثالث عن كتب مصنفة في معان شتى لا يعرف مصنفوها.

ثم جعل المقالة التاسعة في المذاهب والاعتقادات في فنين، الفن الأول في وصف مذهب النجرانية الكلدانية (الصابئة) وأسماء كتبهم، والفن الثاني في المذاهب الفريدة الطريفة كمذاهب الهند والصين وغيرهم.

وأما المقالة العاشرة فخصها بأخبار الكيميائيين والفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم.

ولا شك أن تصنيف على هذا النحو لابد وأن يكمن وراءه سعة اطلاع وجهد دائب وثقافة واسعة، وفوق هذا كله قدرة على الاستقصاء والجمع والتبويب والتصنيف.

أهمية كتاب الفهرست:

ولأهمية الكتاب على هذا النحو كان مصدرا لكتب التراجم والسير التي جاءت بعده، بل اعتمدت عليه مؤلفات كثيرة أخرى في موضوعات المعرفة المختلفة.

ولم تقف أهمية الكتاب عند القدماء فحسب، فلا يزال الباحثون إلى الآن يعتمدون عليه اعتمادا كبيرا بوصفه مصدرا للتراجم.

طبعات الكتاب:

وقد طبع الكتاب أكثر من طبعة، طبعه أول مرة جماعة من المستشرقين هم: فلوجل وميلر ورورديجز في ليبسك عام 1872م، ثم طبع في مصر طبعة ثانية.

مصادر ومراجع

- ابن حجر: لسان الميزان، ج5.
- د.السعيد الورقي: في مصادر التراث العربي.
- الصفدي، خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، ج2.
- ابن النديم: الفهرست، دار المطبعة التجارية، القاهرة.
- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج18.

نماذج من كتاب الفهرست لابن النديم

(1) الكتب المؤلفة في غريب القرآن

"كتاب غريب القرآن لأبي عبيدة – كتاب غريب القرآن لمؤرج السدوسي – كتاب غريب القرآن لابن قتيبة – كتاب غريب القرآن لأبي عبد الرحمن اليزيدي – كتاب غريب القرآن لمحمد بن سلام الجمحي – كتاب غريب القرآن لأبي جعفر رستم الطبري – كتاب غريب القرآن لأبي عبيد القاسم – كتاب غريب القرآن لمحمد بن غزيز السجستاني – كتاب غريب المصاحف لأبي بكر بن الوراق – كتاب غريب القرآن لأبي الحسن العروض – كتاب غريب القرآن لمحمد بن دينار الأحول – كتاب غريب القرآن لأبي زيد البلخي – كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه – كتاب المصاحف لأبي بكر الوراق".

[المكتبة التجارية، القاهرة، ص59، 58]

(2) تسميته من أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي

"أخذ عن أبي الأسود جماعة؛ منهم يحيى بن يعمر وعنبسة بن معدان وهو عنبسة الفيل، وميمون بن الأقرن، وقال بعض العلماء إن نصر بن عاصم أخذ عن أبي الأسود. فأما يحيى بن يعمر فهو رجل من عدوان بن قيس بن غيلان بن مضر، وكان عدده في بني

ليث بن كنانة، وكان مأمونا عالما قد روى عنه الحديث، ولقى ابن عباس وابن عمر وغيرهما وروى عنه قتادة وغيره.

وأما عنبسة بن معدان الفهري فرجل من أهل ميسان قدم البصرة وأقام بها وإنما سمي بالفيل لأن معدان أباه مقبل بنفقة فيل زياد فسمي به.

وكان بعد عنبسة عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي مولى لحضرموت، وهجاه الفرزدق فقال:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

ومن برع في أيامه عيسى بن عمر الثقفي، حدثني أبو سعيد رحمه الله، قال حدثنا أبو مزاحم قال حدثنا بن أبي سعيد قال: حدثنا أبو عثمان المازني، قال حدثنا الأصمعي عن عيسى بن عمر، قال: كنا نمشي مع الحسن ومعنا عبد الله بن أبي إسحق، قال: فقال الحسن جاذبوا هذه النفوس فإنها طلعة. فأخرج عبد الله بن أبي إسحق ألواحه فكتبها وقال استعذنا منك يا أبا سعيد طلعة وأبو عمرو بن العلاء".

اص68